



**دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال**  
**Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks**

**قدمت هذه الورقة في ندوة "دولتا السودان.. فرص ومخاطر" بالدوحة**

**١٤ و ١٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٢**

# **الوضع الاجتماعي والثقافي في جنوب السودان.. وتحديات بناء الدولة**

**د . آرثر غبريال ياك**

**كاتب وقاص – جنوب السودان**



**مركز الجزيرة للدراسات**  
**ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES**



## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### مقدمة



د. آرثر غبريال بيك

منذ أن نال شعب جنوب السودان استقلاله في التاسع من يوليو/تموز ٢٠١١ لم تخل كل الخطب السياسية والاجتماعية والثقافية من مصطلحين مهمين: بناء الدولة، وبناء الأمة. حتى أصبحا كأنهما مصطلحان مترادفان. وعلى الرغم من أن بناء الأمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء الدولة، إلا أن الأول يُعنى أكثر ما يعنى بالهوية الثقافية، أما الثاني فمرتبط بخلق مؤسسات حكومية جديدة وتقوية تلك المؤسسات الموجودة أصلاً في ظل هذه الدولة (١).

إن إعادة بناء البنى التحتية للمؤسسات التي انهارت خلال فترة الصراع، يمثل أمراً غاية في الأهمية، إن لم يكن أكثر أهمية من البنى التحتية المادية (٢)، الأمر الذي تغفله الحكومات أحياناً، ذلك الإغفال الذي يؤدي إلى ضعف أو فشل دولةٍ ما، مما يشكل تحديات أمنية وسياسية واجتماعية، ليس للداخل فقط، بل وللمجتمع الدولي أيضاً، سواء كان سبب الفشل هو الفقر، أو عدم الاستقرار، أو المرض الناتج عن غياب أجهزة ومؤسسات قوية.

ولذلك، فإن مسؤولية بناء دولةٍ مثل دولة جنوب السودان، التي جاءت إلى الوجود عبر الاستفتاء المتضمن في اتفاقية السلام الشامل، بعد رحلة معاناةٍ طويلةٍ، وما زالت تعاني من آلام مخاض نزاعات عرقية داخلية تارةً، وحرب الوكالات التي تشنها الميليشيات تارةً أخرى، تلك المسؤولية لا تقع على كاهل حكومة دولة جنوب السودان وحدها، بل أيضاً تستلزم وتتطلب العون من المجتمع الدولي والمنظمات الدولية، لأن فشل بناء دولة في الشرق الإفريقي قد يؤدي إلى إحداث هزاتٍ تؤثر على المنطقة، وقد تمتد خارجها. وليس ضعف بناء الدولة في أفغانستان بعيداً عن ذاكرة العالم، وتأثير هذا الضعف المروع والمتمثل في أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

تحاول هذه الورقة، أن تلقي الضوء على التحديات التي تواجه الإستراتيجيات اللازمة لإنجاح بناء الدولة. وقبل الخوض في تلك التحديات لا بد من تعريف "الدولة" حتى يمكننا بناءها بصورة سليمة.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### تعريف الدولة

الدولة بمعناها الواسع هي تجمع بشري مرتبط بإقليم محدد يسوده نظام اجتماعي وسياسي وقانوني موجه لمصلحته المشتركة، تسهر على المحافظة على هذا التجمع سلطة مزودة بقدرات تمكنها من فرض النظام ومعاقبة من يهدده بالقوة(٣).

نستنج من هذا التعريف أن من الضروري توفر أربعة عناصر حتى يكون هناك ما نسميه دولة، هذه العناصر هي: (١) تجمع بشري، (٢) إقليم يرتبط به التجمع البشري، (٣) سلطة توجه التجمع البشري، (٤) ونظام اجتماعي واقتصادي وسياسي وقانوني يتمسك به الجميع(٤).

على الرغم من اجتماع كل هذه العناصر إلا أنها قد لا تضمن قيام ما يسمى بالدولة إن لم يصبحها اعتراف من المجتمع الدولي، ومن الأمثلة الجلية لهذه الحالة جمهورية أرض الصومال التي أعلنت استقلالها عشية انهيار نظام الرئيس سياد بري في عام ١٩٩١.

### تعريف بناء الدولة

نعني به بناء مؤسسات وأجهزة الدولة، أو خلق مؤسسات حكومية جديدة وتقوية التي كانت موجودة أصلاً(٥). وقد يعني أيضاً بناء السلام في مجتمعات تعج بالعنف والصراعات الداخلية، كما حدث مؤخراً في إقليم جونقلي بجنوب السودان. وتعرف أيضاً بأنها عملية تنمية قدرات ومؤسسات وشرعية الدولة من خلال إجراءات سياسية فاعلة، وتهيئة مناخ مناسب للتفاوض والحوار، لتحقيق متطلبات متبادلة بين الدولة ومجموعات اجتماعية(٦).





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### الوضع الثقافي وتحديات بناء الدولة

#### اللغة

للغة تأثير كبير في خلق وحدة ثقافية وطنية تجمع كل الإثنيات. ولا شك أن تعدد اللغات في الدولة الجديدة يمثل عائقاً أمام تشكل أو بناء الأمة. فاللغة الوطنية قد تخلق شعوراً وتشكل وجدانا وتعاطفاً لا تقوم به أي من اللغات الحديثة.

ووجود مثل هذه اللغة التي توحد الجميع في قالب ثقافي يشعر به المرء ينمي الشعور بالانتماء، بعكس ما يحدثه التعامل باللغات الحديثة، كاللغة الإنجليزية، مثلاً، والتي اعتبرها الدستور الانتقالي لجنوب السودان لغة رسمية، وهي ليست بلغة وطنية تساهم بفعالية في خلق وحدة ثقافية في مجتمع متعددة الثقافات.

وقد يقفز إلى الذهن سؤال منطقي عن كيفية خلق لغة وطنية في مجتمع متعدد الثقافات واللغات، وأي قبيلة من قبائل الدولة يمكن استخدامها دون اللغات الأخرى. والقبيلية مازالت راسخة ومتفشية تفشي حمى الملاريا والتيفود من قمة رأس مؤسسات الدولة إلى أخصم قدميها. واللغة هي السيارة التي تحمل الثقافة (٧)، كما عرفها أيلور شورتر، إذاً استخدام لغة قبيلة ما، قد تكون سيارة لحمل ثقافة تلك القبيلة إلى القبائل الأخرى وإنتاج هيمنة ثقافية. بالطبع، دولة جنوب السودان، ليست هي الدولة الوحيدة في العالم التي تتميز بالتعدد اللغوي، فهناك الهند وسنغافورة على سبيل المثال لا الحصر. والاستفادة من اللغات المحلية وجعلها لغات رسمية إلى جانب اللغة الإنجليزية ليست بالأمر الصعب. ولكن السؤال هو كيف يمكن تحقيق ذلك؟.

على الرغم من أن جنوب السودان يمتاز بالتعددية القبلية واللغوية، إلا أن هنالك قبائل تتحدث لغة واحدة مع بعض التباينات الطفيفة، كاللكنة والصوتيات. ففي ولاية الاستوائية توجد قبائل تسمى بالقبائل المتحدثين بلغة الباري (٨)، وهي قبائل الباري، فوجولو، كوكو، كاكوا، ليجي، نجانقورا، وقبيلية المنداري (٩)، حيث تتوزع هذه القبائل في ولاية الاستوائية





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

الوسطى. وطالما أن هذه القبائل جميعها تعيش في منطقة واحدة فيمكن اعتبار لغتها لغة رسمية في الولاية المذكورة، حتى يتسنى للجميع معرفة ثقافة تلك القبائل عندما يتم كتابة آدابها، وثقافتها، وتاريخها الاجتماعي بلغاتها المحلية، الأمر الذي ينمي الشعور بالانتماء إلى كيان أكبر من الكيان القبلي، حين تحترم وتتداول لغاتها وفي ذلك تأكيد على حق الأقليات كما أكدها مؤتمر السلام عام ١٩١٩ في "حرية استخدام لغاتهم وتلقي التعليم بها".

أما إن كان في الولاية الواحدة أكثر من قبيلة تستخدم لغات مختلفة فلا غضاضة في استخدام كل هذه اللغات في آن واحد. والأمر في النهاية متروك لمتخصصي علم اللسانيات.

هنالك عامل آخر قد يعيق عملية بناء الأمة، وهو إلغاء الحكومة للغة العربية من الدستور الانتقالي، وجعل اللغة الإنجليزية لغة رسمية (١٠).

يعتبر هذا القرار السياسي قرارا إقصائيا وجائرا وغير موفق: إقصائي لأنه يبعد خريجي كليات الجامعات السودانية (السودان القديم) من التوظيف في دواوين الحكومة لعدم إجادتهم اللغة الإنجليزية للدولة الجديدة. وجائر لأن أولئك الشباب والشابات الذين تلقوا تعليمهم باللغة العربية لم تكن العربية خيارا لهم، وإنما هي خيار الدولة التي نشؤوا وترعرعوا في كنفها، وغير موفق، لأن جُل النظام القضائي في البلاد ما زال يتعامل باللغة العربية في الإجراءات القضائية العادية.

وهناك ولايات ما زالت تتعامل -حتى بعد تضمين هذا القرار السياسي في دستور البلاد- باللغة العربية، والأدهى من ذلك أن ثلث أعضاء البرلمان الذي أجاز هذا الدستور لا يجيدون اللغة الإنجليزية، الأمر الذي جعلهم يحتجون في أحد الجلسات عندما خاطبهم وزير العدل بها (١١).

إلغاء اللغة العربية، بصورة غير مباشرة، قد يبدو أن فيه صبغة النفور، لأن العربية كانت لغة العدو الذي حاربنا منذ استقلال الدولة القديمة. ولكن، إن كان هذا هو المقصد الذي جعل كتاب الدستور يلغون اللغة العربية، ففي قرارهم هذا جهل كبير، فاللغة في ذاتها لم تكن أبدا عدوا،





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

إنما اللغة مثمرة أو مولدة كما يقول ناعوم تشومسكي. واللغة العربية لمن لا يعلمون، قد صنفها الاتحاد الإفريقي كلغة إفريقية.

لقد أنتج هذا الإقصاء المؤسس لجيل تلقى تعليمه باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية نوعاً من الصراع الثقافي والاجتماعي بين من نشأوا وتلقوا تعليمهم باللغة العربية وعملوا في الدواوين الحكومية للدولة الأم، وأولئك الذين نشأوا وتعلموا باللغة الإنجليزية في دول المهجر، وأيضاً من هم انخرطوا في النضال لسنوات. هذا الصراع الثقافي قد أدى إلى وصف المجموعة الأولى بأنهم "مندوكورو" (١٢). ولا شك أن غالبية شعب جنوب السودان قد تأثر بالثقافة العربية السودانية كما تأثر عرب السودان بالثقافة الإفريقية، وبذلك تم خلق ثقافة أفروعروبية كنتاج طبيعي للتثاقف الذي يحدث بين مجموعات ثقافية متباينة.

معرفة أية لغة هي إضافة قوية للفرد الذي يجيدها، أما بالنسبة للشعب الذي يتواصل يومياً بلغة ما ثم يفاجأ بإلغاء هذه اللغة بقرار سياسي فإنه يكون قد خسر خسارة كبيرة، وفقد مقوما هاما من مقوماته الثقافية. ولأهميتها البالغة، أدرجت وزارة الدفاع الأميركية اللغة العربية ضمن اللغات التي تُدرس في معهد اللغات التابع لها في كاليفورنيا، بجانب الفارسية، والعبرية، والهندية، والصينية، والباشتوية، ولغات أخرى. نحن الآن نمتلك هذه اللغة ونجيد القراءة الكتابة بها. إقصاء الخريجين والذين تدرجوا في سلك الخدمة المدنية في الدولة الأم واكتسبوا بذلك خبرة لا يستهان بها، يعيق كثيراً إجراءات بناء مؤسسات وأجهزة الدولة، لأن إقصاءهم يعني إقصاء الموظف المؤهل الذي نحتاجه في تطبيق تلك الإجراءات.

كان حريا بنا أن ننظر إلى تجارب الدول التي اتخذت أكثر من لغة رئيسية، على سبيل المثال، دولة إريتريا التي اتخذت من الإنجليزية والعربية والتنقرجية لغات رسمية لها، وسويسرا دولة الأربع لغات: الألمانية حيث يتحدث بها ٧٤% من السكان، والفرنسية التي يتحدث بها ٢١%، والإيطالية التي يتحدث بها ٤% من ، بالإضافة إلى اللغة الرومانشية التي يتحدث بها ١% فقط من جملة سكان سويسرا. وهكذا ساعدت تلك اللغات الأربع في خلق تجانس إثني بين المجموعات العرقية السويسرية المختلفة.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### الأثر الثقافي لهجرات الأجانب إلى جنوب السودان

تشكل هجرات الأجانب الباحثين عن العمل خطراً على شعب جنوب السودان، نسبة لعدم وجود معايير وضوابط وضعتها الدولة الجديدة تنظم هذه الهجرات العشوائية. لا تحاول هذه الورقة أن تحرض الدولة وشعبها أو أن تخلق مشاعر الاستعداد ضد الأجانب. لكن مثل هذه الهجرات التسونامية تشكل خطراً على الثقافة المحلية. التثاقف من منظور أنثروبولوجي هو عملية بموجبها يتم تحول توجهات أشخاص ومجموعات وتغييرها نتيجة لتعاملهم مع ثقافة أو ثقافات مجموعات أخرى(١٣).

إن دولة جديدة مثل جنوب السودان تحتاج إلى هوية ثقافية تؤدي إلى بناء أمة، لأنه ليس هناك ما يميز أمة عن أخرى إلا هويتها الثقافية. فالتثاقف مع المجموعات الأجنبية ضرورة لخلق تواصل مع تلك المجموعات، ولكنه في الوقت عينه قد يكون مضراً إن كان يؤدي إلى طمس الثقافات المحلية السائدة.

بالطبع فإن الثقافة ليست كالحذاء يختاره المرء حسب مزاجه، ولكن أن يتخلى الإنسان عن ثقافته فإنه سيصبح بلا هوية ولا جذور. وهنا يفقد التثاقف كمنشأ تبادل بين مجتمعين معناه، وتصبح الكرة في ملعب من كان أكثر دراية وخبرة وقوة. وعاملاً الخبرة والقوة يأتيان هنا بمنطق من يمتلك مؤسسات دولة شكلت هوية شعبها الثقافية منذ عقود، وقادرة على التأثير على الثقافات الأخرى، أو خلق ما يمكن تسميته بالهيمنة الثقافية.

وبالنظر إلى الخلفية الثقافية لشعب الجنوب، يتبين لنا أنه لم يجد البيئة الصالحة للتعبير عن ثقافته منذ استقلال السودان في الأول من يناير/كانون الثاني عام ١٩٥٦. فكل النخب السياسية التي حكمت السودان منذ ذلك الحين عملت على تعريب المجموعات السودانية غير العربية ولم تتح لها فرصة للتعبير عن ثقافتها عبر أجهزة الدولة التي كُرسَت عمداً لإرساء ثقافة واحدة هي الثقافة العربية الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى رفض الجنوبيين لتلك الثقافة المفروضة، ولجوئهم إلى تبني ثقافات بعض الدول الإفريقية، خاصة في مجال الموسيقى، مما خلق شخصية مشوهة موسيقياً تستمتع بالموسيقى فقط دون فهم مغزى الكلمات. وهذا





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

ينطبق على معظم الجنوبيين إلا القلة ممن أُتيحت لهم ساحة التواصل والتعايش مع شعوب تلك المناطق.

إن رفض الجنوبيين للثقافة العربية الإسلامية، وقبولهم بالثقافة الإفريقية قد ساهم بدرجة كبيرة، الآن، في قبولهم -دون وعي- بما أسماه بالغزو الثقافي الأجنبي، ولا يحتاج المرء أن يكون عالماً أنثروبولوجياً ليدرك حدوث هذا الغزو الآن، فقط، ما يحتاجه الإنسان هو أن يذهب إلى أحد الأندية الليلية ليشرح بأنه موجود جسدياً في جنوب السودان، وثقافياً في كينيا أو يوغندا أو إثيوبيا حسب الموسيقى التي تُعزف في النادي.

### الوضع الاجتماعي

#### الانتماء الحزبي والقبلي

تعتبر التعددية العرقية في دولة جنوب السودان مصدراً للثراء الثقافي والاجتماعي إن استغلت بصورة صحيحة. إلا أن الوضع الراهن الذي انفجر فيه الصراع القبلي وبرزت من خلاله الشوفينية العرقية بجلاء، حتى في أوساط النخبة التي يتحتم عليها إيقاف تلك النعرات التي كلفت، ومازالت تكلف الدولة أرواحاً بشرية بأعداد هائلة، هذا الوضع قد أثبت دون أية ريبة أن اتفاقية السلام الشامل قد أوقفت الحرب ولكنها لم تأت بالسلام الدائم. فنهاية الحرب لا تعني دوام السلام.

فالحركة الشعبية، التي أتت بالسلام مع شريكها المؤتمر الوطني، كانت قد أفلحت في أحلك الأوقات (أوقات الحروب الطاحنة) في دمج رجال ونساء ينحدرون من أعراق مختلفة متشاكسة، وخلق جيش فاعل منها يعمل من أجل هدف واحد، وهو ما يعتبر أنصع دليل على قدرة الحركة على تجاوز الشوفينية العرقية (١٤). وهذه حسنة تحسب وتقدر كثيراً للحركة الشعبية. كما أن الحركة نجحت إلى حد كبير في تذويب كل الإثنيات من أجل تحقيق هدف واحد هو إقامة مشروع قومي شامل.







## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

إلا إنها هي الحركة نفسها التي تقاعست إلى حد كبير في دمج رجال ونساء الأعراف في عملية بناء مؤسسات الدولة وأجهزتها. فبدلاً من توظيف كوادر مؤهلة في دواوين الحكومة، أصبح الولاء الحزبي أولاً والانتماء القبلي ثانياً هما أساسا التوظيف. وما استقالة وزيرة الخدمة العامة أوت دينق إلا دليل على ما ذهبنا إليه. فقد حاولت الوزيرة -حسب توجيهات الرئيس- تنقية الوزارات من الكوادر غير المؤهلة وأن تستبدل بهم من هم أكثر كفاءة وتأهيلاً، إلا إنها واجهت صداماً منيعاً من بعض زملائها الذين اعتبروا ما تقوم بها من تنفيذ لتوجيهات الرئيس استهدافاً لأعضاء الحركة الشعبية غير المؤهلين لتبوء وظائف حكومية. فكان أن أقدمت على الاستقالة من الوزارة، كأول مسؤول يستقيل في تاريخ الدولة الجديدة، في وقت أصبح الكل يلهث وراء الاستوزار بأي وسيلة.

### الصراع القبلي كنتاج للتخلف الاجتماعي

في المجتمع المتخلف، تعتبر القبيلة أن العنف هو الوسيلة المثلى لرد الشرف والكرامة عند الاصطدام مع قبيلة أخرى، حتى إن كلفها رد الكرامة والشرف خطف الأطفال والنساء أو قتلهم واستباحة أرواح الشيوخ وسلب الممتلكات وإحراق البيوت. وهذا ما حدث بالضبط في ولاية جونقلي بين القبيلتين المتصارعتين المورلي واللاونوير. وتعود جذور هذا الصراع إلى أسباب اجتماعية مرتبطة بالموروثات التقليدية للقبائل المتناحرة، حيث تعتقد قبيلة المورلي، مثلاً، أن كل الأبقار هي حقوق شرعية لها، أضف إلى ذلك التوترات التي تحدث حول مصادر المياه عند شحها في فصل الجفاف، أو بسبب عدم الاستقرار في المناطق التي تسيطر عليها بعض المليشيات.

والأدوات التي استخدمت في هذا الصراع قديماً، كانت عبارة عن عصا وحراب، أما الآن فقد زاد انتشار الأسلحة نتيجة لوجود المليشيات التي تشن حرب الوكالة في محاولة لتقويض الحكم في الجنوب، وامتلاك المسرحيين من جنود الحركة الشعبية للكثير من الأسلحة، وقد أدى كل ذلك إلى تأجيج جذوة نيران الصراع في الآونة الأخيرة. وقد اهتبلت بعض النخب السياسية سائحة هذا الصراع وسكب الزيت على نيرانه لتحقيق مصالح ذاتية، وهنا تبرز على السطح مظاهر الأنوية والتقوقع حول الذات أو الجماعة المرجعية (١٥). والأنوية هي في الأساس العجز عن اعتبار





## دولتنا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

مسألة ما، إلا من خلال وجهة النظر الذاتية (١٦). والتفوق حول الذات جعل بعض السياسة والمثقفين الذين ينتمون إلى الولاية التي يدور فيها التصارع بين قبيلتي اللاونوير والمورلي، يهاجمون مساعي نائب الرئيس لإيقاف نزيف الدم. إذا، نرى أن الصراعات القبلية التي كانت تدور حول مصادر المياه والأبقار قد تطورت وأصبحت أكثر تعقيداً بولوج نخب سياسية مثقفة تحاول تمرير أجندتها الذاتية عبر جثث الأبرياء. ومثل هذه الصراعات تعيق كثيراً المساعي التي تُبذل من أجل بناء وإعادة بناء أجهزة ومؤسسات الدولة.

### مرض فقدان المناعة المكتسبة

وفقاً لحديث رئيسة مفوضية محاربة الإيدز في جنوب السودان، الدكتورة سريينا نوفيلو، فإن هناك ٣% من سكان جنوب السودان مصابون بالإيدز من ضمنهم الأطفال وأكثرهم النساء (١٧). وتذهب رئيسة المفوضية قائلة: إن هذا يعود إلى أن النساء يذهبن إلى الفحص، وأما الرجال فدائماً ما يرفضون الفحص بشدة إلا في اللحظات الأخيرة للمرض، وهناك ١٥ ألفاً حالياً يتناولون المضادات الحيوية لتقوية مناعة الجسم.

ومن هذا الحديث يمكننا أن نستنتج الغياب التام للبنية التحتية الصحية، من مستشفيات، وأطباء، ودعم مالي لتوفير الأدوية، وبراج توعوية تقوم بها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة لحث الشعب وخاصة الرجال على القيام بإجراء الفحص، من خلال إقناعهم بأهمية الكشف المبكر للفيروس، وأنه قد يساعد كثيراً في تقوية المناعة في المراحل المبكرة للمرض.

من يمعن النظر في الحياة الاجتماعية والتداخل الاجتماعي بين أفراد المجتمع في جوبا يمتلكه الخوف بأن هذا المرض اللعين قد يصطاد الكثير من البشر. فالوعي الصحي في أدنى مستوياته حتى بين من يفترض فيهم الوعي. لذلك يمكن القول بأن الرقم الذي ذكرته رئيسة مفوضية مكافحة الإيدز، أعلى بكثير من ما هو مكتشف حتى الآن. البشرية هي العمود الفقري لأي إجراء تتبعه الحكومة لتقوية قدرات وبناء أجهزة الدولة، لذا لا بد أن يأتي الاهتمام بالبنية التحتية الصحية في المقدمة.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### الآثار النفسية للحرب

لقد تركت الحرب الأهلية في الجنوب طيلة ٢٢ عاماً آثارها على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أن الآثار النفسية التي تركتها الحرب جاءت عميقة جداً يصعب محوها، وما زالت تنعكس سلباً على الإستراتيجيات التي تضعها الدولة لبناء أجهزتها ومؤسساتها حتى تستطع أن تقف في مصاف الدول الأخرى.

إن عملية بناء الدولة، ومن ثم بناء أمة متحدة تحتاج إلى نخبة مثقفة تقوم بتنقيح تاريخ هذا الشعب وإعادة كتابتها وطي الصفحات السيئة منها نهائياً، حتى لا تؤثر على الخطوات التي تتبعها الدولة في بناء مؤسساتها وأجهزتها. وعلى سبيل المثال، فإن الانشقاق الذي حدث للحركة الشعبية لتحرير السودان في عام ١٩٩١ قد أحدث شراً نفسياً عميقاً في صفوف قيادات وجنود الحركة الشعبية. ولسنا هنا بصدد سرد الأحداث التي وقعت في ذلك العام. ولكن قد بدا جلياً أن قيادات عليا في الحكومة والحزب الحاكم ما زالت تحمل ذكريات تلك الأحداث حتى الآن، وتضمر في نفوسها شعوراً سيئاً إزاء رفقاءهم الذين انسلخوا آنذاك عن الحركة ثم عادوا إلى صفوفها فيما بعد.

ونشير هنا إلى التلميحات والالتهامات الصريحة التي لم يترك المحافظ السابق لبنك جنوب السودان ساحة اجتماعية إلا واهتبلها لشن الهجوم على نائب رئيس الجمهورية، محاولاً بذلك إرجاع الذاكرة الجمعية إلى أحداث عام ١٩٩١.

في تاريخ كل شعب صفحات سوداء وأخرى ناصعة، وعلى النخب المستنيرة تشجيع العوامل التي أدت إلى توحيد الشعب في الماضي واستنباط العبر والدروس للاستفادة منها في الحاضر، الحاضر الذي إن لم ننقحه من الشوائب فلن ترى الأجيال القادمة بزوغ شمس مستقبل مشرق. أما المحطات التاريخية التي تعثرنا فيها فيجب دراسة أسبابها وسلبياتها ومن ثم تثبيط العوامل التي أدت إلى حدوثها حتى يمكن تفاديها في المستقبل. ومهما كانت قوة حكومة جنوب السودان، فإنها لن تستطيع بناء أجهزة ومؤسسات الدولة دون أن تتوقف أمام تلك المحطات حتى لا تقف حجرة عثرة أمام بناء دولة الجنوب.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

### Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

وعلى الحكومة ومنظمات المجتمع المدني تكوين مفوضية للمصالحة الوطنية تقوم بوضع خطط وإستراتيجيات وآليات تنفيذ تلك المصالحة الوطنية، على أن تضم آليات لتضميد جروح الماضي، حتى يشعر الضحايا بتحقيق العدالة، مع سرد تاريخي للأحداث يتحرى الحقيقة والدقة (١٨). وذلك يتطلب إجراءات سياسية ومؤسسية تشمل تكوين مفوضيات الحقيقة، آليات وطنية أو عالمية لتطبيق العدالة، طرائق التعويض، مشاريع علاجية اجتماعية ونفسية، إجراء حوارات ودعم لمبادرات المجتمع المدني (١٩)، وإعادة هيكلة المؤسسات التقليدية "السلطين" وإشراكهم في تلك الإجراءات لما لهم من سلطة، لا يمكن إغفالها، على المجتمعات المحلية.

### خلاصة

لم يعد وجود دولة فاشلة أو ضعيفة في المنظومة العالمية أمر يهم تلك الدولة فقط، بل يهم أيضا المنظمات والدول الأخرى، خاصة المتقدمة منها، لما يجره هذا الفشل أو الضعف من تبعات تمتد إلى دول ما وراء البحار، وليس ببعيد عن الذاكرة سلبيات ضعف دولة أفغانستان كما ذكرنا سلفاً، وما الصومال أيضاً التي انهارت في تسعينيات القرن الماضي وأخذت تؤثر سلبياً على كل الدول بدون استثناء إلا نموذج بارز لذلك. فلا بد من مساعدات دولية لا تقتصر فقط على التمويل، بل تشمل خبرات تحتاجها دولتنا الوليدة. فعلاج مرض الإيدز مثلاً، والذي لا يقتصر علاجه على الدواء باهظ الثمن فحسب، بل أيضاً على برنامج علاجي دقيق يتم اتباعه بدقة لفترة طويلة من الزمن. ولذلك يجب أن يشمل هذا العلاج برنامجاً تثقيفياً وتعليمياً وتعريفياً مكثفاً بالمرض وطرائق مواجهته، حتى لا تنتكس المناعة أمام فيروس إتش آي في، الذي تتطور وأصبح مقاوماً شرساً للدواء. كما أن إنشاء بنى تحتية صحية، في مثل هذه الحالة، يحتاج إلى خبرات ومساعدات دولية.

على الحكومة والمنظمات الدولية، كالأمم المتحدة، ومنظمات المجتمع المدني والسلطات المحلية التقليدية (سلطين القبائل) أن تعمل جنباً إلى جنب لإرساء أساس قوي لبناء دولة جنوب السودان. لقد ارتبطت فكرة بناء الدولة في أذهان الكثيرين بالغزو الأجنبي، لذلك يجب





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

على الأمم المتحدة -في تعاملها مع السلطات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني والسلطات المحلية التقليدية- التزام مبدأ احترام السكان المحليين وسيادة الدولة والالتزام بالقوانين، خلافاً لما نراه أحياناً من تعامل متعجرف، والتقليل من شأن السكان المحليين. تفادي مثل هذه التصرفات قد تؤدي إلى تفاهم واحترام متبادل ومن ثم إنجاز ما نحن بصدده وهو بناء الدولة. فإن فشلنا فإن نتائج ذلك الفشل لن تكون داخلياً فقط، بل ستمتد إلى ما لا نعلمه.

وتفتقر الدولة إلى بنية ثقافية، فلا وجود لمكتبات عامة، ولا مسارح، ولا دور سينما، ولا متاحف تساعد في تفاعل الجمهور وتقوم بدعم المنتجات والأنشطة الثقافية مثل الأداء المسرحي وإقامة المعارض الفنية. يوجد في عاصمة جنوب السودان مركز ثقافي واحد تملكه الحكومة، وقد تم استغلاله لممارسة أنشطة لا علاقة لها بالثقافة من قريب أو بعيد، بل هي ذات علاقة باستنزاف أموال الشعب، كالحفلات الربحية الراقصة والقمار. إن تأسيس بنية ثقافية تحتية يتطلب دعماً مباشراً من المنظمات الدولية كاليونسكو وغيرها من المنظمات العربية والإفريقية.

وتقف الصراعات القبلية والعنف القبلي أمام أي إستراتيجية تضعها الدولة بغية إنجاز بناء الدولة. وإن لم تضع الحكومة نصب أعينها أمر نزع السلاح المنتشر في الجنوب سواء أن كان هذا الانتشار ناتجاً عن الأسلحة التي يملكها المسرحون من أفراد الجيش الشعبي، أو التي تمتد بها حكومة الخرطوم المليشيات، فإن أي جهد يبذل من أجل بناء الدولة لن يكون إلا مجرد حرث في البحر. على الحكومة وضع إستراتيجية تنموية شاملة من إنشاء مستشفيات، مدارس، توفير مصادر مياه للماشية... إلخ، في المناطق ذات الصراع القبلي كولاية جونقلي، وذلك للتقليل من الاحتكاكات التي تحدث بين تلك القبائل. كما يجب، أيضاً، وضع خطة لإجراء مصالحة وطنية بين تلك القبائل المتشاكسة، مع وجود مشاركة فعالة للقيادات التقليدية لتلك المجموعات.

وفي الختام، لا بد من القول بأنه، ونسبة لعدم وجود الخبرة الكافية لحكومة دولتنا الوليدة، إن لم تجد الخطط والإستراتيجيات التي تضعها الحكومة لبناء دولة جنوب السودان دعم المجتمع الدولي والمنظمات الدولية، فإننا بلا شك، في نهاية المطاف، سوف نؤسس إلى قيام دولة ضعيفة أو فاشلة. وقد كان الأمين العام السابق للأمم المتحدة، كوفي أنان، صادقاً حين قال: اليوم، ليس هنالك تحدي في العلاقات الدولية أكثر إلحاحاً أو صعوبةً من دعم الدول الضعيفة.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

### Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

#### مصادر

- ١- فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة: ما وراء أفغانستان والعراق، نشرة جامعة جون هبكنز، بالتيمور، ٢٠٠٦ ص ٣.
- ٢- كريشنا كومار، إعادة بناء المجتمعات بعد الحروب الأهلية، ١٩٩٧
- ٣- د. سعاد الشرقاوي، النظم السياسية في العالم المعاصر، ص ١١.
- ٤- نفس المصدر السابق.
- ٥- فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة: ما وراء أفغانستان والعراق (المصدر ١).
- ٦- تقرير منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي.
- ٧- أيلورد شورتر، الثقافة الأفريقية، فكرة عامة، ص ٢٤
- ٨- Professor Bureng G.V Nyombe, Some of Bari History, A comparative Linguistic and Oral Tradition Reconstruction, Page 5
- ٩- نفس المصدر السابق ص ٥.
- ١٠- الدستور الانتقالي لجنوب السودان، جنوب السودان والدستور، اللغة، البند ٦، (٢) اللغة الإنجليزية هي لغة العمل الرسمية في جمهورية جنوب السودان، وأيضاً هي لغة التدريس في كل مستويات التعليم.
- ١١- السيد جون لوك جوك، وزير العدل بحكومة الجنوب.
- ١٢- مندوكورو بالعربي الدارجي تعني العرب.
- ١٣- Azvedo, Marcello, a Theology of Inculturation, p.7.
- ١٤- د. منصور خالد. تكاثر النزاع وتناقض الأوتاد، ص ١٦٣ .
- ١٥- د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتص ١٩٢ مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور ص ١٩٢.
- ١٦- نفس المصدر السابق.
- ١٧- دكتورة سريانا نوفيلو، صحيفة المصير، الخميس ٥ يناير ٢٠١٢ العدد ٢٤٣.
- ١٨- "Revealing is healing" was the slogan of the South African Truth and Reconciliation Commission
- ١٩- انظر الرابط التالي: [www.idea.net](http://www.idea.net)

انتهى

